قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الاترجة ريحها
طيب وطعمها طيب الحديث وقارئه مبتدأ والمرضي صفته واراد به تفسير المؤمن المذكور
في هذا الحديث لانه ليس المراد به اصل الايمان وصفه في كتاب الترمذي من حديث صهيب رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم ما آمن بالقرآن من استحل محارمه والجملة من قوله قد مثاله
هي خبر المبتدأ وقد بمعنى استقر اي استقر مثاله مشابهاً للاترج ويجوز ان يكون المرضي خبر
المبتدأ اي لا يعد قارئاً للقرآن الا من كان مرضي الطريقة ثم استأنف جملة فعلية فقال قد مثاله
كالاترج ويجوز ان يكون قد وحده هو خبر المبتدأ وفيه ضمير عائد على القارئ اي قد قرت عينه او
استقر امره بنيل درجات الابرار ثم استأنف جملة اسمية فقوله مثاله كالاترج فقوله كالاترج خبر
مثاله وعلى هذا يكون قد دعاء كما تقول زيد العاقل اقر الله عينه والاترج بتشديد الجيم والاترنج بالنون
لغتان وكلاهما مستقيم في وزن البيت واختار لغة التشديد للفظ الحديث وحاليه بدل اشتمال
من الاترج من حال مو كلا حالين من الاترج يقال اراح الطيب اذا اعطى الرائحة واكل الزرع
وغيره اذا اطعم والله اعلم **هو المرتضى اما اذا كان امة وتمته ظل الرزانة قنقلا**
فسر بهذا البيت ما عناه بقوله المرضي فقوله هو ضمير القارئ المرضي او ضمير القارئ مع
الاعراض عن وصفه بالمرضي لانه اغنى عنه قوله المرتضى اما الى آخر البيت ويجوز ان يكون هو
المرتضى خبر قوله وقارئه المرضي وما بينهما من قوله قد مثاله الى آخر البيت اعتراض واما تمييز
ومعناه القصد اي هو المرتضى قصده تيمناً به وانتفاعاً بعلمه وكان يعني صار ويقال للرجل
الجامع للخير امة كانه قام مقام جماعات لانه اجتمع فيه ما تفرق فيهم من المصالح ومنه
قوله تعالى ان ابرهيم كان امة وقوله وتمته اي قصده والرزانة الوقار وقد رزن الرجل بالضم
فهو رزين اي وقور ثابت واستعار للرزانة ظلاً اشارة الى شمول الوقار له واستراحته
في ظله وامنه من تخليط الناقص من عقله وجعل الرزانة هي التي تقصده كانها تتحرى به وتتزين
بان تظله لكثرة خلال الخير فيه مبالغة في مدحه وفي الحديث عن انس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من جمع القرآن متعه الله بعقله حتى يموت وعن عبد الملك بن عمير قال كان يقال ان ابقى
الناس عقولاً قراء القرآن وقنقلاً تمييز حال من ظل الرزانة اي مشبهاً قنقلاً وكذا يقدر فيما جاء مثله
مما هو منصوب على الحال وليس بمشتق كقوله وانقاد معناه يعملاً والقنقل المكيال الضخم
وكان لكسرى تاج يسمى القنقل والقنقل ايضاً الكثيب من الرمل الى عظم الرزانة وتوفرها
ان قصد الكثيب او المكيال وان قصد التاج قدرت الحال متوجاً ومن كلامهم جلس فلان
وعليه تاج السكينة والوقار فان قلت علام عطف قوله وتمته قلت يحتمل وجهين احدهما
ان يكون عطفاً على معنى المرتضى اي هو الذي ارتضى امة وتمته الوقار فهو من باب قوله تعالى
ان المصدقين والمصدقات واقرضوا اي ان الذين تصدقوا واقرضوا او يكون مضمون البيت

سار

بأنه
بناء على مرتضى كامل العقل والوجه الثاني ان يكون معطوفاً على كان امة اذا اتصف بهاتين الصفتين
اي ان قارئ القرآن انما يرتضى للاقتداء به ويقصد للانتفاع به بشرطين وهما ان يكون جامعاً
للخير وافر العقل والله اعلم **هو الحر ان كان الحري حوارياً له بتحريه الى ان ينبلا**
هو ضمير القارئ المرتضى قصده الذي هو امة وافر العقل او يكون ضمير القارئ مع الاعراض
عن تلك الاوصاف لانه غني عنها اشتراطها بقوله ان كان الحري اي ان كان الحري بها ولهذا قال بعضهم ان
ان بمعنى اذ ولو اراد الناظم ذكر لقال اذ كان تعليلاً والوزن موافق له فلا حاجة الى ارتكاب
ما لم يثبت لغة وان ثبت فهو لغة بعيدة ضعيفة فان قلنا هو ضمير القارئ بصفاته فكل بيت
كانه تاكيد لما قبله وان قلنا هو ضمير القارئ مطلقاً كان كل بيت مستقلاً بالغرض من وصفه
بما يستحق به الامامة والحرية على اي اقوال قوله بتحريه صلة الحري والمراد الحري بها بالتحري
بالتحري وقوله حوارياً له معترض بينهما والحر الخالص من الرق اي لم تسترقه الدنيا ولم تستعبده
هواه لانه لما تحقق بتدبر القرآن وفهم معانيه صغرت في عينه الدنيا واهلها كقوله تعالى
وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور وان الدار الآخرة لهي الحيوان
ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجاً منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير و
الى غير ذلك من الآيات في هذا المعنى وما احسن ما قاله الشاطبي رحمه الله من قصيدة له لمن تبرك
القراء ورد قرائه وزود دام الدنيا اجاج المشارب ولو سمع القراء حين اقترائهم لزال اعراض كنوز
المطالب بها ينظر الدنيا بعين احتقارها فقيه المعاني غير عالي الذوائب يعني قوله تعالى
زين للناس حب الشهوات الى قوله ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب وما احلى
قوله فقيه المعاني يعني من اعطاه الله فهماً وفقهاً في معاني القرآن فهذا هو الذي يحتقر الدنيا عند
تلاوته لهذه الآية ونظائرها لا الفقيه الذي هو اسير الذوائب المتقيد بلباسه وخدمة اهل
الدنيا ففقيه المعاني يحتزر عن رق الاشياء ويحتمل قوله هو الحر معنى آخر ذكرناه في الكبير
والحري بمعنى الحقيق والحواري الناصر الخالص في ولائه والياء مشددة خففها ضرورة والتحري
القصد مع فكر وتدبر واجتهاد اي بطلب ما هو الاحرى والهاء في له للقرآن العزيز وفي تحريه للقارئ
او للقرآن وحوارياً خبر لكان بعد خبر او حال من ضمير الحري العائد على القارئ ويجوز ان
يكون بتحريه متعلقاً بحوارياً اي ناصراً له بالتحري او يكون الباء للمصاحبة اي مصاحباً للتحري فيه
هذا كله على ان يكون التقدير ان كان الحري بالاوصاف السابقة ولا دليل ان يتعلق قوله بتحريه
بالحري كما سبق وقوله الى ان ينبلا متعلق بالتحري او بحوارياً او بمعنى يبلغ مات او اخذ
الابل فالانبلاء اي انتهى ذكر من المعاني التي تحتملها الفاظ القرآن **وان كتاب الله**
اوثق شافع واغنى غناء واهباً متفضلا هذا حث على التمسك بالقرآن وتحريه
والعمل بما فيه ليكون القرآن العزيز شافعاً له كافيه كل ما يحذر واهباً متفضلاً عليه بما يلقاه

Copyright © King Saud University